عماد رشدي

مجد القلعة

ساحة الصحراء فسيحة، صفراء تنعم فيها الرمال التي تشتاق لحوافر الخيول. يقف زينكس في مقدمة الجيش، ويقف بجانبه جندي يحمل علم ألياس وهي العاصمة التي توج بملكها زينكس خلفًا للوالد.
العلم أسود قاتم حدادًا على والد زينكس الذي توفي من مرض السيند. مرض صارم وعجز الأطباء عن وجود دواء لهُ، ولا يكف عن نهش المُصاب بهِ. . تفاقم وبسببه تآكل جسده واضطر الابن أن يقطع بضربة من سيفه عنق والده حتَّى يقضي على العذاب الذي لم يتحمله أقوى قائد جلس فوق كرسي العرش في القارة. كما أن حدود العلم صفراء وهو اللون الذي تمتاز بهِ المدينة، وفي النصف فارس باللون الأبيض يركب حصانه ويلوح بسيفه.
الشمس تضرب صحراء رأس زينكس. نظره ثاقب لا يرى إلا مقدمة جيش فينوس. وحِصانه يركل الرمال متحفزًا لأي لكزة تطلب منه العدو.
صفَّ الجيش على الجهة الجنوبية، الخيالة يحاوطون الجيش، بينما أصحاب الدروع تلتف حول زينكس في الأمام، وبالخلف الرُماة في وضع الاستعداد. والمشاة في العمق والأطراف. جيش زينكس يتفوق عددًا وعتادًا على جيش فينوس، الضعف ثلاث مرات في عدد الجنود. يبلغ عدد جيش زينكس قرابة الـتسعين ألف جندي، وعشرين ألف حِصان براكبيهم. كان الجيشان على امتداد البصر. في صحراء نورمالي على حدود قارة مازيت. الصحراء تفصل بين قلعتي زينكس وفينوس وتمتاز بحشائش صفراء سريعة الاشتعال. . وهي المكان الذي أصر عليه فينوس للقاء. إصرار غريب تحفه رائحة المخاطرة، رغم ذلك وافق المتعجرف زينكس وقال في مجلسه وأمام مستشاريه الذين عقبوا باحتمالية وجود فخاخ:

-لا يتحتم على جيش زينكس أن يمكث أكثر من هذا وسيوف جنوده لا تزحف عليها الدماء-.

في ربيع الحرب وقف جيش فينوس بلا حراك. . لا وجود لاستعداد مِن قبل الرُماة خاصتهم، والرياح تضرب هدوء وقوفهم. وهدوء فينوس يثير زينكس أكثر وأكثر. .

الفائز في الحرب سينهب، ويسرق، ويأسر العبيد ويستأثر عيدان وأفخاذ جواري مدينة ألياس الذي يحكمها زينكس، أو جمال ورشاقة نساء الأشراف في مدينة سيلابل، وبالطبع ستكون منطقة سومايسل -التي قامت على فحواها الحرب- ضمن حدود الفائز في المعركة، وللخاسر بئس المصير.

بدأت عين زينكس تمتلأ بحمرة الغيظ، ويده تزحف ناحية السيف، تراجع وشاور لأحد القادة وقال لهم:

- الآن. .

- حسنًا لكن أحد جواسيسنا قال ألا نتعدى مائة وخمسين مترا من وقوفنا لوجود فخاخ. . فحاول أن لا تتعدى المسافة يا سيدي. .

نظر زينكس بعينيه الذي جعلها مقاسًا على الأفخاخ المتاورية.

وقبل أن يرفع زينكس سيفه وجد رمحا واحدا مطعم بالنيران يقذف عليهم، فضحك بشده وأشار بيده أن يعيدها. وقع الرمح على العشب سريع الاشتعال فأوقد النار فيه وفي جيشه الذي هاج وهاجم دون أخذ إشارة من زينكس، انطلق الجيش إلى الأمام ليس بدافع المواجهة ولكن بدافع الهروب من النيران التي اضطرمت في الحشائش، وزعقات زينكس تتوالى ألا يذهب الفئران إلى الفخ.

لكن قد فات الأوان. .

وقف زينكس مدقق النظر وينتظر اللحظة التي سيقع فيها جيشه في الفخ، كانت ملامح وجهه تتأثر وتتغيِّر كلما اقترب الجيش من الفخ. وفجأة وقع الفرسان والجنود في جسر عميق وسط المسافة بين الجيشين فخسر ربع جيشه، وأجبر على التراجع فلحق جزء من جيشه بعيدًا عن النار ووقف ينتظر جيش فينوس الذي بدأ في الهجوم.

مرَّ القتال على مراحل. . أولها ما حدث، ثم شق جنود جيش فينوس وهم يحملون عوارض خشبية وضعوها على الجسر ليعبر عليها جيش فينوس الذي أشهر سيفه وقال:

-ليكن النصر حليف الفهود-

فرفع الجنود علم سيلابل. وانطلقوا كالفهود كعلامة الفهد الذي يعدو على العلم.

على الجانب الآخر وقف زينكس منتظرًا جيش فينوس أن يقترب أكثر من هذا وعندما بلغوا الفخ الذي صنعوه حرك رأسه لأحد القادة الذين وجهوا رمح في السماء يحمل إشارة ما. فما لبث أن شاهدها فينوس حتَّى سمع صوت أرجل خيول كثيرة تأتي من الخلف وتنثر الغبار فعرف أن فخه قوبل بآخر. تمت إحاطته من الخلف والأمام وجيشه في المنتصف، لم يرَ إلا أن يتوجَّه إلى الجانب الأيمن أو الأيسر، فاتجه وقاد جيشه ناحية التلة في اليمين، وشاهد مؤخرة جيشه وهي تقهر بواسطة فرسان زينكس.

استعاد قوته عند التلة ووقف يفكر في الضربة القاضية وضحك بخبث وهو يقول:

-بربك يا زينكس ما هذا التخاطر. . -

وأشار أن يبدأ الهجوم بالخطة البديلة، فهجم على مؤخرة جيش زينكس

فرسان اخترقوا الجيش وقطعوا عنق الكثيرين وهم في اتجاههم ليقفوا بجوار جيشهم.
الرد جاء وسريعًا ومن الواجب أن تكون هناك قاضية، فجأة وجد زينكس حالة هرج في منتصف جيشه، ودماء وأعناق تتطاير في الهواء، فصعق وأراد فهم مجرايات ما يحدث، فزعق فيهم وهو يقول:
-اقتلوهم-
في تلك اللحظة أمر فينوس كُلَّ الجيش أن يخلعوا ملابسهم التي كانت تستر ملابس تشبه بالضبط ملابس جيش زينكس، وأمرهم أن يخترقوا مقدمة جيش زينكس.
كان جيش فينوس يرتدي سترته العادية، وتضمنت خطتهم أن تكون ملابس جيش زينكس تحت عباءتهم ليشقوا صفوف جيش زينكس ببذلتهم إلا اختلاف طفيف وهو وجود شارة لا يعرف سرها إلا جنود فينوس ليفرقوا بين أخوتهم وأعدائهم.
انطلق جيش فينوس جميهم واخترقوا مقدمة جيش زينكس الذي ضحك ضحكة خاسر تمتلأ عينيه بدماء جنوده الذين بدأو في ذبح بعضهم البعض لعدم وعيهم بالشارة. إلى أن سقط من سقط وهرب من هرب ووقع زينكس في قبضة فينوس الذي ظهر له بملابس جيش زينكس وهو يقول:
-تحملت ملابسكم رغم ضيقها-.

****